تشكيلات الصورة في أقوال الإمام الجواد عليه السلام

المدرس الدكتور
فاطمة عبد زيد شوين الخزاعي
كلية التربية الأساسية، جامعة الكوفة
Falkhuzai6@gmail.com

Image formations in the sayings of Imam Al-Jawad (peace be upon him)

Dr. Fatima Abd Zaid Showen Al-Khuzaie
Faculty of Basic Education , University of Kufa

الملخص:-

تعد الصورة من أهم المكونات التي يعتمد عليها الفنان المبدع في رسم افكاره على شكل لوحة أدبية فنية، فهي تشكيل لغوي لعوالم ذهنية يكون الخيال مصدرها الأول؛ لأنها تمتلك امكانية تأثير واسعة تحرك الذهن وتشد المتلقي لتتبع انتاج المبدع، وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الجمالي البلاغي في تحقيق اهداف الدراسة، وعليه فقد قسمت البحث على مبحثين يسبقهما تمهيد تناولت فيه تعريف الصورة الفنية، وتحدثت في المبحث الأول عن تشكيلات الصورة البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية، في حين كان الحديث في المبحث الثاني عن أهم الفنون البديعية التي استعملها الإمام عليه السلام في اقواله فوقفت على الجناس والطباق والمقابلة ورد العجز على الصدر، أما الخاتمة فضمنتها أهم نتائج الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الإمام الجواد عليه السلام، تشكيلات الصورة، الأقوال، التشبيه، الإستعارة، الكنية، الفنون البديعية.

Abstract:-

The image is one of the most important components that the creative artist relies on in drawing his ideas in the form of an artistic literary painting, as it is a linguistic formation of mental worlds whose primary source is imagination. Because it has the possibility of a wide influence that moves the mind and draws the recipient to follow the production of the creator. In this study, it relied on the rhetorical aesthetic approach in achieving

The objectives of the study, and accordingly, the research was divided into two sections preceded by a preamble, in which I dealt with the definition of the artistic image, and I spoke in the first section about the formations of the rhetorical image from analogy, metaphor and metaphor, while the discussion in the second section was about the most important creative arts that the Imam (peace be upon him) used in his sayings I stood on anaphora, counterpoint, interview, and the inability to return to the chest , As for the conclusion, it included the most important results of the study.

Key words: Imam Al-Jawad (peace be upon him), Image formations, sayings, similes, metaphors, nicknames, creative arts.

المقدمة:ـ

تعد الصورة من أهم المكونات التي يعتمد عليها الفنان المبدع في رسم افكاره على شكل لوحة أدبية فنية، فهي تشكيل لغوي لعوالم ذهنية يكون الخيال مصدرها الأول؛ لأنها تمتلك امكانية تأثير واسعة تحرك الذهن وتشد المتلقي لتتبع انتاج المبدع، وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الجمالي البلاغي في تحقيق اهداف الدراسة.

وقد دعت بنية البحث إلى أن أقسمه على تمهيد ومبحثين وخاتمة، وقفنا في التمهيد على مفهوم الصورة الأدبية، في حين تناولت في المبحث الأول الصورة البيانية وقسمتها على ثلاث فقرات، الفقرة الأولى أسميتها الصورة التشبيهية في أقوال الإمام الجواد عليه السلام، أما الفقرة الثانية، فقد أسميتها الصورة الاستعارية في أقوال الإمام الجواد عليه السلام، وقد تناولت فيه نماذج من أنواع الاستعارة التي استعملها الإمام عليه السلام، وفي الفقرة الثالثة التي أسميتها الصورة الكنائية في أقوال الإمام الجواد عليه السلام درست نماذج من الكنايات المهيمنة في أقوال الإمام عليه السلام.

في حين كان الحديث في المبحث الثاني عن أهم الفنون البديعية التي استعملها الإمام عليه السلام في اقواله فوقفت على الاقتباس، والطباق، والجناس.

وفي خاتمة البحث أوجزت ما توصلت إليه من نتائج في مسيرة البحث القصيرة نسبياً.

التمهيد:

الصورة لغةً:

"الصورة في الشكل، والجمع صور، وقد صوره فتصور، وتصورت الشيء توهمت صورته، فتصور لي، والتصاوير، التماثيل"[١].

الصورة اصطلاحاً:

مفهوم الصورة الشعرية ليس من المفاهيم البسيطة السريعة التحديد، بل لا بد للدارس من معرفة عوامل عدة تدخل في صنع الصورة، ومن هذه العوامل: التجربة والشعور والفكر والمجاز والإدراك والتشابه والدقة، فهي قضية أدبية معقدة؛ لأن دراستها تُوقِع الدارس في مزالق العناية بالشكل أو بدور الخيال أو بدور موسيقى الشعر كما هو في المدارس الأدبية[٢].

إذن الصورة مركبة ومعقدة وتستعصي على الدارس، وللوقوف على مفهوم الصورة الشعرية وأهم عناصرها التركيبية[٣].

الصورة عند القدامى:

ترتقي الصورة عن باقي الاساليب الأدبية عند أرسطو حين يقول: "ولكن أعظم الأساليب حقا هو أسلوب الاستعارة...وهو آية الموهبة"[٤].

أي يريد أن يربط الصورة بإحدى طرق المحاكاة الثلاث، فضلاً عن ارتباطها بالخيال؛ لأن الخيال هو الذي يحلّق بالقارئ في الآفاق الرحبة، ويخلق له دنيا جديدة، وعوامل لا مرئية تخرجه من العزلة والتقوقع.

والخيال عن ارسطو نوعاً من الجنون العلوي، كذلك هو عند أفلاطون " الذي كان يعتقد أن الشعراء مسكونون بالأرواح، وهذه الأرواح من الممكن أن تكون خيِّرة كما يمكن أن تكون أرواحاً شرِّيرة"[٥].

أما أبو هلال العسكري يقول "الألفاظ أجساد والمعاني أرواح"،[٦] بينما "الجاحظ يرى "أن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، و في صحة الطبع وجودة السبك، وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير"،[٧] أما السكاكي فقد أهتم كثيرا بالتفريعات، وأهمل الأصول وكذا النصوص الإبداعية، فأصبحت جهوده عبارة عن تقنين وتقعيد بعيدا عن جوهر البلاغة وروحها[٨].

وبعد هذا السجال العقيم في القيم النقدية جاء عبد القاهر الجرجاني؛ ليضع القواعد الأساسية في البناء النقدي العربي من فهمه لطبيعة الصورة، التي هي عنده مرادفة للنظم أو الصياغة، فنظرية النظم عنده لا تعني رصف الألفاظ بعضها بجانب بعض بقدر ما تعني تَوَخِّي معاني النحو التي تخلق التفاعل والنماء داخل السياق.

وهنا نختم القول برأي شيخ البلاغين عبد القاهر الجرجاني الذي يربط الصورة بنظرية النظم والصياغة وترتيب الأحداث بشكل سلسلة متواصلة لينتج عنها صورة فنية.

الصورة عند الغربيين:

أول من عرف الصورة من الغربيين الشاعر الفرنسي بيار ريفاردي (١٩٦٠) قائلاً هي" إبداع ذهني صرف، وهي لا يمكن أن تنبثق من المقارنة وإنما تنبثق من الجمع بين حقيقتين واقعيتين تتفاوتان في البعد قلة وكثرة، ولا يمكن إحداث صورة المقارنة بين حقيقتين واقعيتين بعيدتين لم يَدْرِكُ ما بينهما من علاقات سوى العقل"[٩].

أما كولريدج يربط وترتبط الصورة بالخيال فبواسطة فاعلية الخيال ونشاطه "تنفذ الصورة إلى مُخَيِّلَة المتلقي فتنطبع فيها بشكل معين وهيئة مخصوصة، ناقلة إحساس الشاعر تجاه الأشياء، وانفعاله بها، وتفاعله معها"[١٠].

وعليه يمكننا القول أن الصورة الشعرية تشكيل فني مترابط مع بعضه البعض أساسه الخيال والحواس.

الصورة عند العرب المحدثين:

أتسع مفهوم الصورة وأصبح أكثر انتشاراً، وأكثر تفرعات مما كان عليه سابقاً،" فأصبح يشمل كل الأدوات التعبيرية مما تَعوَّدنا على دراسته ضمن علم البيان والبديع والمعاني والعَروض والقافية والسَّرد وغيرها من وسائل التعبير الفنِّي"[١١] و" الشكل الفني الذي تتَّخذه الألفاظ والعبارات يَنظِمها الشاعر في سياق بياني خاص ليُعَبِّر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنة في القصيدة، مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني... والألفاظ و العبارات هي مادة الشاعر الأولى التي يَصُوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صوره الشعرية "[١٢].

فالصورة عند المحدثين لم تكن قاصرة على الفنون البلاغية بل تشمل الجانبي الشعوري والوجداني، وتستعمل "عادة للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي، وتطلق أحياناً مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات، فيقول مصطفى ناصيف: "إن لفظ الاستعارة إذا أُحسِن إدراكه قد يكون أَهْدَى من لفظ الصورة"[١٣]، وهذا ما أكده أحمد علي دهمان قائلا: "أنه قَصَرَ الدِّلالة على الاستعمال المجازي، مع أن كثيراً من الصور لا نصيب للمجاز

فيها، وهي مع ذلك صور رائعة، خِصبة الخيال، ثَرَّة العاطفة، و تدل على قدرة الأديب على الخلق أيضاً[١٤].

فتعريف الصورة هنا لا يبتعد كثيراً عن تعاريف القدامى، ألاّ أنها اتسعت افقياً فاشتملت الجوانب الشعورية والخيالية، فهي " واسطة الشعر وجوهره، وكل قصيدة من القصائد وحدة كاملة ، تَنْتَظِمُ في داخلها وحدات متعددة هي لَبِنَات بنائها العام، وكل لَبِنَة من هذه اللبنات تشكّل مع أخواتها الصورة الكلية التي هي العمل الفني نفسه"[١٥].

المبحث الأول

الصور البيانية

قبل الولوج في الفنون البيانية التي استعملها الإمام عليه السلام في أقوله، لا بد من معرفة أن البيان يعد من الطرق التي توصل إلى دلالة النصوص، وتشرح عباراتها تشريح بلاغي، يتمكن فيها الملقي من توصيل غرضه للمتلقي بطرق مختلفة، مرة تكون عن طرق التشبيه، ومرة أخرى عن طريق الاستعارة، أو عن طريق الكناية.

الصورة التشبيهية في أقوال الإمام الجواد عليه السلام:

التشبيه لغة:

التمثيل أو المماثلة، يقال شبهت هذا بهذا تشبيها أي مثلته به،[١٦] فـ "الشبه والشبه والشبيه: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيء ماثله... "[١٧]، والتشابه المقصود به الاستواء،[١٨] **وهو في الاصطلاح** عقد مقارنة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر[١٩].

ويعد التشبيه أحد فنون علم البيان الذي يعد بدوره أحد علوم البلاغة، إذ من المعروف أن البلاغة العربية مقسمة على ثلاثة علوم، هي علم البيان وعلم البديع وعلم المعاني، وإن "أغلب الاساليب البلاغية ولا سيما فنون البيان ما هي ألاّ استراجيات وآليات وميكانيزمات ذهنية بها يدرك الإنسان معنى الأشياء من حوله"[٢٠] وتعمل هذه الاستراجيات على تقريب المعنى الذي يطلقه المرسل إلى المتلقي، أي أنه آلية يشترك في إنتاجها طرفا الخطاب، وذلك عندما يكون المشبه مجهولاً نوعاً ما، فيقوم المرسل بتشبيه بما هو معروف لدى أغلب

المخاطَبين، فتكون "المشابهة من الآليات التي ينظم الذهن إدراكه للموضوعات"[٢١] فالتشبيه يمكن المرسل من إيصال ما يشعر به إلى المتلقي، إذ إنّ "المشابهة ليست قائمة في الأشياء بل في تفاعلنا مع هذه الأشياء"؛[٢٢] لأنّ الأشياء في العالم ليست معزولة أو مستقل بعضها عن بعض، بل هي مشابهة لأشياء أخرى"[٢٣] وهنا "ينطلق المتلقي في صياغة افتراضاته من خلال البنية التي تعتمد مبدأ المشابهة الذي يسمح بتشكيل صورة عن الإنتاج الإبداعي سياق ما، هذه البنى المتشابهة تصبح فضاء لبناء افتراضات مسبقة تتعلق بالمحتوى المنتج أو الموضوع"[٢٤].

ومن الصور التشبيهية التي وردت في أقوال الإمام الجواد عليه السلام، قوله: **" من شهد امراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده "**[٢٥].

يختلف التشبيه هنا عن الصور التشبيهية المعتاد عليها، فالإمام في هذه الصورة يتكئ على عنصر التشبيه (العلمي)؛ لأن الغياب والحضور عملية واقعية تحدث أو يمكن أن تحدث فعلاً، وليس أنها تقوم على إيجاد علاقات بين أشياء لا علاقة بينها في عالم الواقع: كإحداث العلاقة بين الشمس والوجه مثلاً أو غيرها من العلاقات التشبيهية المعروفة.

وفي موضع آخر نجد الإمام عليه السلام يتجه إلى التشبيه الفني قائلاً: **" اياك ومصاحبة الشرير، فانه كالسيف المسلول: يحسن منظره، ويقبح اثره "**[٢٦].

يشبه الشرير بالسيف المسلول الذي يحسن منظره ويقبح أثره، فالعلاقة بين السيف والشخص (مستحدثة) لا واقع لها في المخارج بعكس الصورة التشبيهية السابقة، بيد أن السياق فرض مثل هذه الصورة الفنية مادام (الشرير) يشبه بالفعل السيف من حيث منظره؛ لأن الصداقة تحمي الإنسان كحماية السيف، ولكن الشرير بصفته عنصراً لا ترتب عليه الحماية المطلوبة، حينئذ اشبه السيف المسلول الذي يقبح إثره (الأذى).

وإذا تركنا هذا الجانب واتجهنا إلى (التفريع الصوري) وجدنا أن (الفن) تبرز فاعليته في أمثلة هذا التفريع، ومنه ظاهرة (السيف) نفسه، فهو عليه السلام فرع على السيف جانبين: الإشهار والأثر، وقرن بينهما وبين مصاحبة الشرير وتفريعه على جانبين أيضاً: الحماية والأذى.

وفي موضع تشبيهي آخر قال الأمام الجواد عليه السلام: **"نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر"**[٢٧].

الحديث فيه صفتين متضادتين وهما (النعمة والسيئة)، من المعروف أن النعمة هي فضائل الله عز وجل على عبده، أما السيئة فهي ممارسة الذنب، والذنوب كلها يغفرها الله عز وجل إذا تاب العبد عنها ورجع إلى الله، ألاّ الشرك مثلاً، أو الحقوق الشخصية التي يمتلكها الشخص ويغصبها آخر، لا تغفر ألاّ إذا تنازل عنها الشخص المغصوب حقه، وهذه هي السيئة التي يعنيها الإمام عليه السلام في قوله، وضمنها في مماثلة بين نعمة لا تشكر وسيئة لا تغفر، يستهدف بها إيصال المعنى للمتلقين بتعبير مجازي صوري يعمق بها الحقائق الشرعية والدينية.

والحقيقة أن استعمال الإمام عليه السلام، للتشبيه المذكور يظل حافلاً ببلاغة فائقة، من حيث كونه يدمج عدم الشكر مع صدور السيئة، ولكن بملاحظة عدم غفرانها؛ لأن عدم الشكر هو عدم ما يماثله وهو الغفران.

الصورة الاستعارية في أقوال الإمام الجواد عليه السلام:

الاستعارة لغةً:

مأخوذة من العارية[٢٨]: وهو اسم من الإعارة أي نقل الشيء من شخص إلى أخر لتصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه،[٢٩] واستعرنا الشيء واعتورناه وتعاورنار بمعنى واحد[٣٠]، **وهي في الاصطلاح** استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة (المشابهة) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، والاستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصراً، لكنها أبلغ منه، وتتألف الاستعارة من ثلاثة أركان هي: مستعار منه، ومستعار له، ومستعار، فأصل الاستعارة: تشبيه حذف أحد طرفيه[٣١] فإذا حذف المشبه سميت تصريحية، وإذا حذف المشبه به سميت مكنية، وفي الاستعارة يتجلى التفاعل بين المرسل والمرسل إليه، ففي الاستعارة تتوالد الألفاظ وتتكاثر عن طيِّق تغيير علاقات الألفاظ مع بعضها في داخل السياقات،[٣٢] إذ إن "المتلفظ بالاستعارة يجمع في ذات التركيب بين عالمين ثقافتين مختلفين: عالم ثقافة المستعار وعالم ثقافة المستعار له"[٣٣] فعند استعارة لفظ من موضوع لموضوع آخر فإننا نقوم بإرادة الموضوعين معاً، وكأننا نرسم

لوحة سوريالية تتضمن الموضوعين معا وتحتاج إلى إعمال الذهن أو قارئاً جيداً لفهمها والتلذذ بتركيب الموضوعين.

ومن الاستعارات التي جاءت في قول الجواد عليه السلام: "**توسد الصبر، واعتنق الفقر، وارفض الشهوات، وخالف الهوى، واعلم انك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون**"(٣٤).

يحشد الإمام عليه السلام نصه بمجموعة من الاستعارات الفنية والعلمية الهدف منها تحريك الأذهان لخلق صورة خيالية دقيقة تحمل بعداً دلالياً وبلاغياً، فقد استعمل لفظة التوسد للصبر، وجعله كالوسادة التي تخلد اليها وقت الراحة والابتعاد عن التفكير بملذات الحياة أو كل ما يخص الأمور الدنيوية من جهة، ومن جهة أخرى نجد لفظة الصبر أيضاً تحمل دلالات لغوية أخرى منها عدم الجزع عند المصائب، وعدم الانصياع للشهوات...، واستعمل لفظة الاعتناق للفقر، وهنا أيضاً تحمل دلالة بلاغية، إذ جعل اعتناق الفقر من أجل الاتصاف بصفة الصبر؛ ليتمكن من رفض الشهوات ومخالفة الهوى، إذن الإمام عليه السلام يقدم نسيجاً بلاغياً متكاملاً، متعانق في الدلالات، متمكناً من جذب الانتباه والتمكين من الأذهان؛ للرجوع لله عز وجل في زمن كثرت فيه المغريات التي تشجع الابتعاد عن الدين الإسلامي.

كذلك جاءت الاستعارة في قوله: " **راكب الشهوات لا تستقال له عثرة** "(٣٥).

استعار لفظة الركب التي تستعمل لركوب الحيوانات مثلا ونقلها لارتكاب الشهوات؛ ليبين بها أن الإنسان هو من يرتكب الخطأ والمعاصي، وهو من يسهى إليها، وفي هذه الاستعارة يظهر دور الإمام عليه السلام التربوي والارشادي لأبناء الأمة، بالتحذير من الانجراف نحو الملذات والشهوات، شهوات النفس التي كانت ومازالت السبب الرئيس في ارتكاب الذنوب والمعاصي والابتعاد عن الله عز وجل، فواجب الإنسان مصارعة هذه الشهوات والتغلب عليها؛ لأن طاعتها هي طاعة للشيطان نفسه، هذا ما نفهمه من كلام الإمام الجواد عليه السلام، وهو التحذير من اتباع شهوات النفس.

ومن الصور الاستعارية قوله عليه السلام: " **من لم يعرف الموارد أعيته المصادر**"(٣٦) هذه الفقرة من حديث الإمام عليه السلام، غنية وثرية بالدلالات الايحائية، إذ أن الموارد يمكن ان تنطبق على أي تجربة من تجارب الإنسان، كذلك المصادر المترتبة عليها تتسم بنفس الطابع الايحائي

الذي يسمح لكل متذوق فني أن يستخلص منه دلالة تتناسب مع حجم خبرته الشخصية، وهو أمر يكشف عن أهمية الفن الاستعاري الذي تظل أبرز سماته هي أن تسمح للمتذوق بان يكتشف بنفسه كثيراً من الحقائق، طالما نعرف بأن مساهمة القارئ في كشف الحقائق، تظل واحدة من أبرز سمات الاستعارة التي تمتلك قدرة فعالة في تفعيل التأمل العقلي للتوصل إلى مبتغى الملقي.

الصورة الكنائية في أقوال الإمام الجواد عليه السلام:

الكناية لغة:

مصدر كنى يكنو أو كنى يكني، أي تكلم بما يستدل به عليه أو تتكلم بشيء وأنت تريد غيره، وهي مشتقة من الستر وبذلك تدخل الكنية في الكناية،[٣٧] **وهي في الاصطلاح:** لفظ أريد به غير معناه الذي وُضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته، وتنقسم الكناية بحسب المعنى الذي تشير إليه على ثلاثة أقسام: أولها: كناية عن صفة، وتعرف بذكر الموصوف ملفوظًا أو ملحوظًا من سياق الكلام، وثانيها: كناية عن موصوف وتعرف بذكر الصفة مباشرة أو ملازمة، وثالثها: كناية عن نسبة، وهي الكناية التي يراد بها نسبة أمر لآخر إثباتاً أو نفياً، فيكون المكنى عنه نسبة، أُسندت إلى ما له اتصال به[٣٨].

ومن الكنايات التي استعملها الإمام عليه السلام، قوله: **" واعلم انك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون "**،[٣٩] **(أنك لن تخلو من عين الله)** كناية(رمز) يقصد بها تمثيل العناية الإلهية، إذ تراقب عين الله البشرية، تراقب كلمات الإنسان وافعاله واعماله وخلواتها، فقد قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾[٤٠]، فهو ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[٤١]، ثم يقول عليه السلام: **"فانظر كيف تكون"**، هنا يتحدث الإمام عليه السلام عن الإنسان في الحياة، كيف يتحرّك بالمعروف، المعروف في الكلام والعمل، وفي الموقف وفي طريقة تقديم المعروف للأخرين وقضاء حوائجهم؛ من أجل كسب رضا الله، فصاحب المعروف في الدنيا هو أيضاً صاحب معروف في الأخرة، وهذا ما اكده عليه السلام بقوله: **"إِنَّ لِلْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ الْمَعْرُوفُ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ"**

ومن الكنايات التي استعملها الإمام عليه السلام، قوله: **"مقتل الرجل بين فكيه، والرأي مع الأناة، وبئس الظهير الرأي القصير، الرأي الفطير"**[٤٢] هذه الكناية من الأمثال العربية الشائعة المشهورة، والتي تتردد على ألسنة الناس، والتي تعني من الممكن أن يكون اللسان قتلًا من باب المبالغة في وصفه بالإفضاء إليه، أي بسبب اللسان يحصل القتل، ويجوز أن يكون بمعنى القاتل، فالمصدر ينوب عن الفاعل، كأنه قال: قاتل الرجل بين فكيه.

من الملاحظ أن الصور الفنية البيانية التي استعملها الإمام عليه السلام، جميعها تهدف إلى الوعظ والإرشاد، فضلاً عن تذكير الناس بالتعاليم الإسلامية، ووجوب التعامل الصحيح مع الله عز وجل، التعامل بقلب سليم صادق متعظ، وبعقل يتدبر التعاليم ويميز بين والصواب والخطأ، وعيون تتبع بناظرها الطريق الإسلامي وتبتعد عن الشهوات والمغريات الدنيوية التي كانت تتبناها الدولة العباسية آنذاك.

المبحث الثاني

الصورة البديعية

أستعمل الإمام عليه السلام مجموعة من الفنون البديعية التي تتناسب من حال العصر الذي عاشه؛ الهدف منها تزين الكلام من أجل التأثير على المتلقي، أو من أجل تقوية المعنى باستعمال الفنون البديعية اللفظية والمعنوية في النص، ومن الفنون البديعية التي كثر استعمالها في أقوال الإمام الجواد عليه السلام:

الاقتباس

يعد الاقتباس لوناً من الوان البديع، وواحداً من المحسنات البلاغية التي يعني بها الشاعر والناثر على حد سواء، فالاقتباس تضمن "الكلام شيئاً من القران أو الحديث، لا على أنه منه "[٤٣]، أي بمعنى الاستشهاد ببعض النص أو بكلمة منه دالة على ما اقتبس منه، سواء أكان قراناً او حديثاً.

والاقتباس في اصله تقوية للنص، وتوضيح للمعنى، بكلام تدعمه الحجة وتثبته الأدلة، ويكون أما حرفياً أو نصياً أو شعارياً[٤٤].

ومن الاقتباس القرآنية التي وردت في أقوال الإمام الجواد عليه السلام، قوله: **"تأخير التّوبة**

اغترار، وطول التّسويف حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والإصرار على الذّنب أمن لمكر الله"(ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرين)" [٤٥] ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٤٦]، اقتبس ثم اردف الاقتباس بالآية المأخوذ منها الاقتباس، ليؤكد ما جاء في قوله من جهة، ومن جهة أخرى التأكيد على الالتزام بتعاليم الله عز وجل، وألاّ تكونون من الخاسرين بدليل قرآني قطعي لا جدال فيه.

ومن الاقتباس الأخرى في أقوال الإمام عليه السلام، **" أمّا هذه الدُّنيا فإنّا فيها مُعترِفُون، لَكِن مَن كَان هَوَاهُ هَوى صَاحِبُهُ، وَدَانَ بِدينه، فَهو مَعهُ حَيثُ كَان، والآخرةُ هِيَ دارُ القَرَار"**[٤٧]، اقتبسها من قوله تعالى: " يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ"[٤٨]، وظف الإمام عليه السلام معنى الآية الكريمة في قوله توظيفاً دلالياً بلاغياً مؤثراً؛ الهدف منه بيان حال الدنيا، وارشاد الناس بعدم الاغترار بها واتباع الشهوات.

المطابقة

وتسمى الطباق والتطبيق والتكافؤ والتضاد، وهي الفن الثالث من بديع ابن المعتز.

والطبقة هي "الجمع بين المتضادين أي متقابلين في الجملة ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد،[٤٩] كقولة تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾[٥٠].

ومن الطباق الذي ورد في أقوال الإمام الجواد عليه السلام، قوله: **" يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم"**،[٥١] جاءت المطابقة بين (العدل، والجور)، وبين (الظالم، والمظلوم)، وقد أراد الإمام عليه السلام بهذا الحشد من الطباق بيان عقاب الظلم والظالم، وهو يوم طويل، لا يدع فيه الله حق لمظلوم إلا واخذه أخذ عزيزاً مقتدر، ومثل هذا الحديث، يبين جزاء الظالم من جهة، ويهول شدة العذاب من جهة أخرى؛ حتى يحد من كثرة الظلم، في ذلك العصر - عصر الإمام - وفي العصور اللاحقة.

وفي موضع آخر يقول: **" لا تعادي أحدا حتى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى، فإن كان محسنا فإنه لا يسلمه إليك وإن كان مسيئاً فان علمك به يكفيكه فلا تعاده."**[٥٢].

في هذا الطباق توجيه إرشاد جميل، يحذر فيه الإمام عليه السلام من العداء بين الناس؛ لأن

المسلم يجب أن يمتاز بصفات الوفاء والإخلاص وحب الخير للناس، وأن يتحلى بالأخلاق الحسنة، وآمر بالتمعن بمن نعاديه، فان كان مخلصاً مطيعاً لله عز وجل، فأمره لله، وأن كان مسيئاً وعلمنا به، يكفينا عن عداوته.

فالمطابقة بين (المحسن والمسيء)، جاءت من أجل فحص وتشخيص شخيصة من نعاديه، ومعرفة قربه لله، دون أن نرتب عليها أثر العداء، وبهذا الحديث أوجب الإمام عليه السلام هذا الأمر على الناس جميعاً؛ حتى يعم الأمن والأمان والسلام.

ومن المطابقات الأخرى التي استعملها الإمام عليه السلام قوله: **" لا تكن ولي الله، في العلانية، عدوا له في السر "**،[٥٣] في هذه المطابقة ينهى عليه السلام، التعامل بوجهين مختلفين، وقد خصص القول بالتعامل مع الله عز وجل؛ لأننا لو كنا على يقين قطعي بان الله يرانا، ويعلم سرنا وما نخفي، فكيف نعصيه؟ وكيف نتهاون بتعاليمه؟ وكيف لا نخاف عقابه؟ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٥٤] الله يعلم سرنا وجهرنا ويسمع كلامنا ويرى مكاننا ولا يخفي عليه شيئاً من أمرنا.

وقد كان للمطابقة بين (ولي الله، وعدوا له)، و(العلانية، والسر)، وقع موسيقي يشد الانتباه، الانتباه للنهي الذي ورد في الحديث، فضلاً عن وجود الجانب الإرشادي الذي يبين طريقة التعامل بقلب سليم مع الله عز وجل.

وللإمام عليه السلام قول آخر في الطباق: **" العلماء غرباء، لكثرة الجهال بينهم "**،[٥٥] هنا يبين الإمام عليه السلام أن العلماء يكونون غرباء في وطنهم إذا كثر الجهال؛ لأن بضاعتهم العلمية لا يمكن أن يقيمها الجاهل، وهذه إشارة واضحة إلى أنتشار الجهال، وفاقدين المعرفة في عصر الإمام، بل في العصور جميعاً، والأمر لا ينطبق على المعرفة العلمية فحسب، بل المقصود المعرفة الدينية أيضاً.

الجناس

يسميه بعضهم (التجنيس) وهو ثاني فن من فنون البديع عند ابن المعتز، وقد عرفه بقوله:" هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر او كلام"،[٥٦] ومجانستها لها أن

تشبهها في تأليق حروفها، وهناك أن الجناس " أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناها"(٥٧).

ويرى البلاغيون:"أن الجناس التام هو ما اتفق طرفاه في أربعة أمور هي:

أ(- الحروف ب(- عدد الحروف ج(- ضبط الحروف د(- ترتيب الحروف ، أما غير التام فهو ما اختلف طرفاه في واحد من الأربعة المتقدمة"(٥٨).

ومن الجناس في أقوال الإمام عليه السلام،" **الثقة بالله تعالى ثمن لكل غال، وسلم إلى كل عال**"(٥٩)، جاء الجناس بين (غال، وعال)، وهما هنا صفتين مخصصتين للثقة بالله عز وجل؛ وقد وصفها الإمام عليه السلام بهذه الصفات؛ لأنها هي اليقين الثابت والسلك الناظم للوصل للدين، والابتعاد عن الشبهات وعواصف الشهوات، فضلاً عن أنها تحمل سبل الإرشاد جميعها، وقوانين التوجيه الإسلامي التي تآمر بحسن الظن بالله، وتقبل ما جاء بالقران الكريم جميعاً ظاهراً وباطناً بدون شك أو تردد أو اعتراض أو حزازة.

ويستعمل الجناس في موضع آخر: " **من أمّل إنساناً هابه ومن جهل شيئاً عابه والفرصة خلسة ومن كثر همّه سقم جسده وعنوان صحيفة المسلم حسن خلقه.**"(٦٠).

الجناس والسجع يزينان قول الإمام عليه السلام، بنغم موسيقي يجذب الانتباه ويستهوي العقول، هدفه ترسيخ الجانب التربوي والعقائدي في المجتمع، باستعمال الكلمات البلاغية المؤثرة، التي تبين أن الإنسان المسلم يعرف بحسن خلقه، ومثل هذه الأقوال تشجع الإنسان على تحسين خلقه وأخلاقه بالتعامل مع الناس، وبهذا يتحقق هدف الحديث وهو بناء مجتمع إسلامي متماسك.

وفي قول آخر يستعمل الاسلوب نفسه، قائلاً: "**إذا نزل القضاء ضاق الفضاء** "(٦١)، غالبا ما نجده عليه السلام يجمع بين السجع والجناس في أقواله؛ ليواكب أسلوب عصره الذي امتاز باستعمال الفنون البديعية، وزركشة الالفاظ، وبهذا الاسلوب الذي يحمل أكثر من فن أخبرهم أن قضاء الله إذا نزل بالإنسان واختاره الله عز وجل إلى جواره فإن الفضاء على سعته يضيق به.

من الملاحظ، أن أغلب أقوال الإمام الجواد عليه السلام، كانت بلاغية إرشادية، وفقهية في آن

واحد، تركز على نشر المعرفة العلمية والدنية بين المجمع، وتسهم في التوعية الثقافية في مجالاتها جميعاً؛ لأن من حق الشيعة وغيرهم على إمامهم معرفة الأحكام الدينية، والحفاظ على الإسلام في وقت يحاول فيه العباسيين من طمس الرسالة المحمدية، وإبعاد الناس عن الدين الإسلامي بكافة السبل المتبعة من قبلهم.

الخاتمة:

في الختام أوجز ما توصلت إليه من نتائج استشفيتها من سطور البحث.

قد كان الاستعمال البلاغي من تشبيه، واستعارة، وكناية، وطباق، وجناس، و... في أقوال الإمام عليه السلام يتوافق مع حال المتلقي - فكره وزمانه- فحين يحتاج المتلقي لمشهد صوري قريب من ذهنه يحضر الإمام الصور التشبيهية، وحين يحتاج لمشهد يكد الذهن من أجل الوصول للمطلوب يحضر الإمام الصورة الاستعارية، أما إذا احتاج الوظيفة الإقناعية فيجد الصورة الكنائية، التي تنقله للمطلوب بعدة وسائط، كذلك استعمل الإمام في مواضع عدة الاساليب البديعية التي تتناسب مع فكر المتلقي وعصره.

مثل هذه الاساليب البلاغية-البيانية والبديعية- تساعد على تحليل النصوص بطريقة تربط بين قول الإمام وذهن المتلقي؛ لأن كلامه عليه السلام كان يحمل وظائف ارشادية وبلاغية في الوقت نفسه، كان الهدف منها تعليم الناس التعاليم الإسلامية بطريقة بلاغية دقيقة في التعبير، وفنية في رسم المشاهد.

لمسنا في هذا البحث جانباً من الحكمة السياسية والقيادية والإرشادية التي يتمتع بها الإمام محمد الجواد عليه السلام، فقد كان يحرص على استعمال الفنون البلاغية من أجل التأثير على المتلقي، وجذبه للدين الإسلامي.

هوامش البحث

(١) - لسان العرب، ابن منظور، مادة (ص. و. ر)، ٤٩٢/٢

(٢) - ينظر: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا و تطبيقا، أحمد علي دهمان، ٢٦٩- ٢٧٠

(٣) - ينظر: جماليات الأسلوب- الصورة الفنية في الأدب العربي، فايز الداية ، ١٥

(٤) - فن الشعر، أرسطو، ترجمة محمد شكري عياد، دار الكتاب العربي، القاهرة ، ١٩٦٧ ،١٢٨

(٥) - فن الشعر ، إحسّان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط٢- ١٩٥٩ ،١٤١.

(٦) - الصناعتين، الكتابة و الشعر، أبو هلال العسكري ،١٦٧

(٧) - الحيوان، الجاحظ : عمرو بن بحر، ١٣١-١٣٢

(٨) - ينظر: جماليات الأسلوب فايز الداية، ١٣

(٩) - معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، ٢٣٧

(١٠) - الخيال الشعري و علاقته بالصورة الشعرية الأخضر عيكوس، ٧٧

(١١) - الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، الولي محمد، ١٠

(١٢) - الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط،، ٣٩١.

(١٣) - الصورة الأدبية، مصطفى ناصف ، ٣-٥

(١٤) - الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، أحمد علي دهمان، ٢٦٩-٢٧٠

(١٥) - مقدمة لدراسة الصورة الفنية، نعيم اليافي، ٣٩-٤٠

(١٦) - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (شبه)، ٨/ ٤٢١

(١٧) - المصدر نفسه، ٨/ ٤٢٢

(١٨) - ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة (شبه)، ٤/ ٢٨٦

(١٩) - ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبديع والبيان، أحمد الهاشمي، ٢٠٥

(٢٠) - علم الدلالة الادراكي المبادئ والتطبيقات، دلخوش جار الله حسين دزهيى، ٢٠٥

(٢١) - بنيات المشابهة في اللغة العربية- مقاربة معرفية، عبد الإله سليم، ٧

(٢٢) - دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، محمد صالح البو عمران، ١٢٤

(٢٣) - المصدر نفسه، ١٣

(٢٤) - تداولية النص الشعري جمهرة اشعار العرب إنموذجا، شيتر رحيمة، ٢٦٠

(٢٥) - تحف العقول، الحراني، ٤٧٩.

(٢٦) - المصدر نفسه، ٦٢٣

(٢٧) - تحفة العقول، الحراني، ٥٦٤

(٢٨) - ينظر: القاموس المحيط،، الفيروز آبادي مادة (عور)، ٣/ ١٧٨

(٢٩) - ينظر: تاج العروس، مرتضى الزبيدي ، مادة(عور)، ٧/ ٢٧٥

(٣٠) - ينظر: لسان العرب، ابن منظور مادة، (عور)، ١٠/ ٦١٤

(٣١) - ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبديع والبيان، أحمد الهاشمي، ٥٨

(٣٢) - ينظر: النظرية الإدراكية واثرها في الدرس البلاغي الاستعارة إنموذجا، الصالح بن الهادي رمضان، ٨٢٨

(٣٣) - نظرية الأدب رونيه ويليل ووارن أوستين، ٢٥٥

(٣٤) - تحفو العقول، الحراني ٤٧٨

(٣٥) - المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية، محسن الأمين، ٦٢٣

(٣٦) - المصدر نفسه، ٦٢٤

(٣٧) - ينظر: لسان العرب، ان منظور، ١٥/ ٢٣٣، وينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ٤/ ٩٤

(٣٨) - ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبديع والبيان، أحمد الهاشمي، ٣٨٦

(٣٩) تحفو العقول، الحراني ٤٧٨

(٤٠) - سورة المجادلة، ٧

(٤١) - سورة غافر، ١٩

(٤٢) - كمال الدين، علي بن الحسنين القمي، ٢/ ٥٧٤

(٤٣) - الايضاح في علوم البلاغة، ٢/ ٥٧٥

(٤٤) - ينظر: اثر القران في الشعر الاندلس منذ الفتح حتى سقوط الخلافة، ٤٨

(٤٥) - تحفو العقول، الحراني، ٤٥٦

(٤٦) - سورة الاعراف، ٩٩

(٤٧) - حف العقول، الحراني: ٤٥٦.

(٤٨) - سورة غافر، ٣٩

(٤٩) - البلاغة العربية، احمد مطلوب، ٢٨٠- ٢٨٧.

(٥٠) - سورة الكهف، ١٨

(٥١) - مستدرك الوسائل، الطبرسي، ١٢/ ٩٧

(٥٢) - بحار الانوار، المجلسي، ٧٥/ ٣٦٥

(٥٣) - المصدر نفسه، ٧٥/ ٣٦٥

(٥٤) سورة الانعام، ٦٠

(٥٥) - بحار الأنوار، المجلسي، ٧٥/ ٨١

(٥٦) - البديع ، ابن المعتز ، ٢/ ٢٥

(٥٧) - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز، العلوي ، ٢/ ٣٥٦

(٥٨) - البلاغة الاصطلاحية ، عبده قلقيلة، ٣٥٦.

(٥٩)- بحار الأنوار، المجلسي، ٧٥/ ٣٦٤

(٦٠) - المصدر نفسه، ٧٥/ ٣٦٥

(٦١) - موسوعة الإمام الجواد عليه السلام، القزويني، ٢/ ٣٣٦

قائمة المصاد والمراجع

إن خير مانبتدىء به القران الكريم

- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- ط٢- ١٩٨١

- بحار الأنوار، المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٩٣

- بنيات المشابهة في اللغة العربية- مقاربة معرفية، عبد الإله سليم، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠١

- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، جماعة من المختصون، وزارة الارشاد، الكويت، دار إحياء التراث، (د. ط)، ٢٠٠١

- تحفة العقول عن آل الرسول، الحراني، تح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، (د. ط)، ١٣٧٦هـ

- تداولية النص الشعري جمهرة اشعار العرب إنموذجا، شيتر رحيمة، اطروحة دكتوراه، اشرف عبد القادر دامخي، جامعة الحاج الخضر باتنة، (د. ط)، ٢٠٠٨- ٢٠٠٩

- جماليات الأسلوب- الصورة الفنية في الأدب العربي، فايز الداية ، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢- ١٩٩٦

- جواهر البلاغة في المعاني والبديع والبيان، أحمد الهاشمي، تح: محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط١، ١٩٩٩

- الحيوان، الجاحظ : عمرو بن بحر، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط)، (د.ت)

- الخيال الشعري و علاقته بالصورة الشعرية الأخضر عيكوس، مجلة الآداب ،عدد ١، ١٩٩٤

- دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، محمد صالح البو عمران، دار نهى، صفقاس، ط١، ٢٠٠٩.

- الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ط٣- ١٩٨٣

- الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا و تطبيقا، أحمد علي دهمان ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر - دمشق -ط١-١٩٨٦

- الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، الولي محمد، المركز الثقافي العربي-بيروت- ط١- ١٩٩٠

- الصناعتين، الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢-١٩٨٤.

- علم الدلالة الادراكي المبادئ والتطبيقات، دلخوش جار الله حسين دزهيى، مجلة الآداب، العدد ١١٠، ٢٠١٤.

- فن الشعر ، إحسّان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٥٩

- فن الشعر، أرسطو، ترجمة محمد شكري عياد، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د. ط)، ١٩٦٧

- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تح: التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت ، لينان، (د. ط)، ٢٠٠٥

- كمال الدين واتمام النعمة، تح: حسين الأعملي، شركة الأعلمي للمطبوعات،ط٢، ٢٠١٦

- لسان العرب، ابن منظور ، دار لسان العرب، بيروت، (د. ط)، (د. ت)

- المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية، محسن الأمين، دار المعارف للمطبوعات، ط٢، ١٩٩٢

- مستدرك الوسائل، الطبرسي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، (د. ط)، (د. ت)

- معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، مكتبة لبنان- بيروت، (د. ط) ١٩٧٤.

- مقدمة لدراسة الصورة الفنية، نعيم اليافي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، (د.ط) ١٩٨٢.

- موسوعة الإمام الجواد عليه السلام، القزويني، مصادر الحديث الشيعية، ط١، ١٤١٩.

- نظرية الأدب رونيه ويليل ووارن أوستين، تح: عادل سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض، (د.ط)، ١٩٩١.

- النظرية الإدراكية واثرها في الدرس البلاغي الاستعارة إنموذجا، الصالح بن الهادي رمضان، (د.ط)، ١٤٣٩.